من أخبار المسافرين (٣٩) **مظلومة تسافر إلى المأمون**

قال قَحْطَبَةُ بن حميد: إني لواقف على رأس المأمون يومًا وقد جلس للمظالم، فكان آخر من تقدم إليه ـ وقد همَّ بالقيام ـ امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلىٰ يحيىٰ بن أكثم، فقال لها يحيىٰ: وعليكِ السلام يا أمة الله! تكلمي بحاجتكِ، فقالت:

يا خَيْرَ مُنْتَصَفٍ يُهْدَىٰ لهُ الرَّشَدُ ... ويَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ البَلَدُ
تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ القَوْمِ أَرْمَلَةٌ ... عُدِي عَلَيْهَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبَدُ
وابْتُزَّ مِني ضِيَاعي بَعْدَ مَنْعَتِهَا ... ظُلْمًا وفُرِّقَ مِنِّي الأَهْلُ وَالوَلَدُ

فَأَطْرَقَ المأمون حينًا ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

في دُون ما قلتِ زال الصَّبْرُ والجَلَدُ ... عنِّي وأُقْرِح منِّي القلبُ والكبِدُ
هذا أذانُ صلاَةِ العَصْرِ فَانْصَرِفِي ... وأَحْضِري الخَصْمَ في اليوم الذي أَعِد
فالمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَىٰ الجلوسُ لنا ... نُنْصِفْكِ منهُ وَإِلاَّ المجلِسُ الأَحَد

قال: فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول ما قدم إليه تلك المرأة، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمين ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليكِ السلام، ثم قال: أين الخصم؟ فقالت: الواقف علىٰ رأسك يا أمير المؤمنين، وأومأت إلىٰ العباس ابنه، فقال: يا أحمد بن أبي خالد! خذ بيدي فأجلس معها مجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمة الله! إنكِ بين يدي أمير المؤمنين وإنكِ تكلمين الأمير العباس فاخفضي من صوتكِ، فقال المأمون: دعها يا أحمد فإنَّ الحق أنطقها والباطل أخرسه، ثم قضىٰ لها بِرَد ضيعتها إليها وعاقب ابنه العباس بسبب ظلمه لها وأمر بالمكتاب لها إلى العامل الذي ببلدها أن يوغر لها ضيعتها ويحسن معاونتها وأمر لها بنفقة.

اتق الله حيثما كنت

أخي المسافر بارك الله فيك ويسَّر لك الخير حيثما كنت وبارك فيك ورزقك الرزق الحلال وحفظك في نفسك وأهلك ومالك.

خف الله وانظر في صحيفتك التي حوت كلما قدمته من فعالكا
فقد خط فيها الكاتبان فأكثرا ولم يبق إلاَّ أن يقولا فذالكا
ووالله ما تدري إذا ما لقيتها أتوضع في يمناك أو في شمالكا
فلا تحسبن المرء يبقى مخلداً فما الناس إلاَّ هالك فابك هالكا

أرجوك أن تسمح لكليمات قليلات أن تنساب إلى قلبك، وأن تفتح لها صدرك وترخي لها سمعك كُليمات من القلب فعسى أن تصل إلى القلب أناديك نداء المحبّ، وأدعوك دعاء المشفق، وأرجوك رجاء الصادق، وأخاطبك خطاب الأخ المخلص، وأناجيك مناجاة الحريص عليك، أوجّه إليك هذا النداء أينما كنت فلعلك الآن تقرأ كلماتي وأنت في الطائرة معلق بين السماء والأرض، بين الحياة والموت، على جناح طائر، وقد تمرّ بك هذه العبارات وأنت في عُمق الصحراء، تطوي المسافات، وتقطع الفيافي، وربما اطلعت عليها وأنت في لُجِّ البحر، تصارع الأمواج، وتركب الأهوال إنني أناديك أخي المسافر في أي مكان أنت وعبر أي طريق اتجهت وعلى أية راحلة ركبت، أناديك وأذكرك فأقول لك:

اتق الله، اتق الله، اتق الله.

اتق الله في نفسك فالزمها بما يرضي الله.

اتق الله .. في أهلك فكن عند حسن ظنهم.

اتق الله .. في أبنائك فإن صلاحك صلاحٌ لهم، وطاعتك صيانة لهم.

اتق الله .. في وقتك فلا تصرفه في اللهو والعبث والضياع، فأنت مسئول

عنه.

اتق الله .. في مالك فلا تنفقه في الحرام، ولا تضيِّعه في الضلال فأنت مسئولٌ.

أناديك يا عبدالله فأقول لك: إلى أين تسافر ولماذا تسافر، هل أنت مسافر في طاعة أم راحل إلى معصية فإن كان سفرك طاعة لله بعيداً عما يسخط الله فالحمد الله وعلى بركة الله، وإن كان سفرك في معصية الله وفي غير طاعته ورضاه. **فاتق الله** .. واستح من الله فإنه ينظر إليك ومطِّلع عليك ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾، ألا تستحي منه، وقد خلقك ورزقك، وأطعمك وكساك، وأعطاك وأغناك، أعطاك السمع، والبصر، والفؤاد، والجوارح وجعلك في أحسن تقويم فهل جزاء الإحسان إلاَّ الإحسان. قال ﷺ لأصحابه: «**ألا تستحيون من الله حق الحياء**» فقالوا: يارسول الله إننا لنستحيي من الله حق الحياء. قال ﷺ: «**ليس ذلك، الاستحياء من الله: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكرالموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، من فعل ذلك فقد استحيا من الله حقَّ الحياء**».

ياأيها المسافر الحبيب إن كنت تنوي المعصية في هذا السفر فإني أدعوك إلى الرجوع عنه أو تغيير هذه النية إني أدعوك إلى التوبة إلى الله تعالى إلى ربك الرحمن الرحيم مولاك، الذي خلقك ورزقك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

إن الخنا دَنَسُ النُّفُوسِ وإنني ... طَهَّرْتُ هَذِي النَّفْسَ من أدنَاسِهَا
ومَطَامِعُ الدُّنْيَا تُذِلُّ ولا أرَى ... شيئاً أعَزُّ لِمُهْجَةٍ مِنْ يَاسِهَا
مَنْ عَفَّ لَمْ يُذْمَمْ وَمَنْ تَبِعَ الخنَا ... لَمْ تُخْلِهِ التَّبِعَاتُ مِنْ أَوْكَاسِهَا

زَيِّنْ خِصَالَكَ بالسَّمَاحِ ولاَ تُرِدْ دُنْيَا تَرَاكَ وأنتَ بَعْضُ خِسَاسِهَا
ومَتَى رأَيْتَ يد امْرِىءٍ مَمْدُودَةً تَبْغِي مُؤَاسَاةَ الكَرِيمِ فَوَاسِهَا
خَيْرُ الأكُفِّ السَّابِقَاتِ بِجُودِهَا كَفٌّ تَجُودُ عَلَيْكَ فِي إفْلاَسِهَا

أخي الحبيب.. إن المسلم العاقل هو من أعمل فكره، واعتبر بغيره، فكم من أناس سافروا إلى بلاد معينة، لتوفر أسباب الحرام فيها، وسهولة اقتراف المعاصي بها، فكان جزاؤهم الخيبة والخسران، والنقمة من الديان، أُصيبوا بالأمراض الخبيثة، وانتقلت إليهم الجراثيم الفتاكة، بما كسبت أيديهم، وبما عصوا باريهم. المعصية لذّة ساعة، وعذابٌ يوم تقوم الساعة. فاتق الله والزم الطاعة، فإنها نعم البضاعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾.

أخي المسافر أحذرك مما حذرنا الله منه ورسوله:

* أحذرك الشرك بالله فإن الشرك ظلم عظيم، وخطر جسيم، وهو الخطر الأكبر والذنب الذي لا يغفر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾.

«**أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور**».

لا تخف إلاَّ من الله، لا ترجو إلاَّ الله، لا تدعو إلاَّ الله، لا تسافر إلى القبور والأضرحة، ولا تدعو أحداً من دون الله..

* واحذر الرياء فإنه محبط للعمل، مغضبٌ للرب «**من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**» فإذا سافرت لطلب العلم فأخلص النية لله تعالى، وإذا سافرت للحج أو العمرة أو غير ذلك من أسفار البر والطاعة فاقصد بها وجه الله وإلاَّ كانت عليك حسرة وندامة ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

* احذر الزنا فإنه من أقبح الأمور، وأعظم الشرور ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾، يورث الفقر والمرض، ويؤذن بالغضب والسخط، ويعرض للمقت والهلاك. قال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»، «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**».

* احذر الرِّبا، فهو حرْبٌ على الله، وتعرضٌ لسخطه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾.

وقال ﷺ: «**إن أبواب الربا اثنان وسبعون باباً أدناه كالذي يأتي أمه في الإسلام**»، «**لعن الله آكل الربا، وموكله، وشاهده، وكاتبه**».

* احذر الخمور والمسكرات، فإنها خراب الدين، ودمار العقل، وإتلاف الصِّحة، بغيضةٌ إلى الرحمن، رجسٌ من عمل الشيطان، نقصٌ في الدين والإيمان، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ «**إن ا لله لعن الخمر، وعاصرها ومعتصرها، وشاربها، وساقيها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومشتريها، وآكل ثمنها**»، «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الديوث، الذي يرضى الخبث في أهله، ولا يغار عليهم، الرَّجُلة من النساء، ومدمن الخمر**».

أخي المسافر.. لا تتعامل بالحرام ولا تتاجر فيه، ولا تدخل إلى جوفك إلاَّ ما كان حلالاً قال رسول الله ﷺ: «**ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يرفع يديه إلى السماء ومأكله حرام ومشربه حرام وغُذي بالحرام يقول: يارب، يارب فأنَّىٰ يُستجاب له**».

احذر من حب الكفار والمشركين أو الإعجاب بهم ولا يخدعنك ما

تراهم فيه من حضارة أو فنّ أو زينة أو بهرج ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

أخي المسافر.. لا تسافر مع الذين أترعت قلوبهم بحب الشهوات، ولا ترافق الذين خلت أفئدتهم من مراقبة ربِّ الأرض والسموات ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.

أخي المسافر.. لا تسع إلى حتفك بظلفك فتسافر بأبنائك وبناتك إلى البلاد المتحللة من الفضيلة، المتجردة من الحياء ظناً منك أنك تسعى إلى تسليتهم وترفيههم، وأنت إنما تسعى في ضياعهم وتدميرهم. إذا أردت أن تروح عنهم فليكن ذلك في البلاد التي تعينك وإياهم على الطاعة، وتحفظ عليك أخلاقهم وأدبهم وسلوكهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

إنهم أمانة في عنقك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

وقال ﷺ: «**كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول**».

وأخيراً أخي المسافر، الله الله في الصلاة فإنها عمود الإسلام، والركن الثاني منه، الله الله في الصلاة لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. وهي أول ما يُسأل عنه المرء. ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾،

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾.

الصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر. «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» الصلاة لأنها تكفر الذنوب وتذهب الخطايا، وتطهر القلوب وتزكي الأنفس «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**» [متفق عليه].

يقول الأستاذ مصطفى الرافعي عن الصلاة:

«بالانصراف إلى الصلاة وجَمْعِ النيّة عليها، يستشعر المسلم أنه حطم الحدود الأرضية المحيطة بنفسه من الزمان والمكان، وخرج منها إلى روحانية لا يُحَدُّ فيها إلاَّ بالله وحده.

وبالقيام في الصلاة يحقق المسلم لذاته معنى إفراغ الفكر السامي على الجسم كلِّه ليمتزج بجلال الكون ووقارِه، كأنه كائن منتصبٌ مع الكائنات يسبِّح بحمده.

وبالتولي شطْر القبلة في سَمْتها الذي لا يتغيّر على اختلاف أوضاع الأرض، يعرف المسلم حقيقة الرمز للمركز الثابت في روحانية الحياة؛ فيحمل قلبه معنى الاطمئنان والاستقرار على جاذبية الدنيا وقَلَقِها.

والركوع والسجود بين يدي الله، يُشعِر المسلم نَفسه معنى السُّمو والرِّفعة على كل ماعدا الخالق من وجود الكون.

وبالجلسة في الصلاة وقراءة التحيات الطيبات، يكون المسلم جالساً فوق الدنيا يحمد الله ويُسلم على نبيِّه وملائكته ويشهد ويدعو.

وبالتسليم الذي يخرج به من الصلاة يُقْبِل المسلم على الدنيا وأهلها إقبالاً جديداً من جهتي السلام والرحمة.

هي لحظاتٌ من الحياة كلَّ يوم في غير أشياء هذه الدنيا؛ لجمع الشهوات وتقييدها بين وقتٍ وآخر بسلاسلها وأغلالها من حركات الصلاة، ولتمزيق الفناء خمس مراتٍ كلَّ يوم عن النفس؛ فيرى المسلمُ من ورائه حقيقة الخلود، فتشعر الروح أنها تنمو وتتسع. هي خمس صلوات، وهي كذلك خمس مرات يفرغ فيها القلب مما امتلأ به من الدنيا، فما أدق وأبدع وأصدق قوله ﷺ: «**جعلت قُرَّةُ عيني في الصلاة**» وقد كان النبي ﷺ يستبطئ الصلاة وقد جاء وقتها، من شدة شوقه إليها فيقول: «**أرحنا بها يا بلال**» ولا أفصح ولا أدق في تصوير نفسيته وأشواق روحه العالية من قوله أرحنا بها. فهذا كمال الاتصال بينه وبين خالقه»اهـ.

وأخيراً. . أخي المسافر أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك، أسأل الله أن يحفظك في حلك وترحالك وأن يعيدك إلى أهلك سالماً غانماً فائزاً رابحاً موفقاً ناجحاً إنه سميع مجيب.